سلسلة أعمال القلوب (٧)

العشق

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

العشق ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٥-١٢-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الحب أ. العنوان

ديوي : ٢١٢,٧ ١٤٣٠/٤٠٤٦

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

سلسلة أعمال القلوب (٧)

العشــق



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القلب السليم لا تكون له لذة تامة ولا سرور حقيقي إلا في محبة الله سبحانه، والتقرب إليه بما يحب، والإعراض عن كل محبوب سواه.

وهذه المحبة هي حقيقة شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي ملة الخليل إبراهيم عليه السلام، وسنة خاتم المرسلين محمد ﷺ.

وإن من أعظم ما يفسد القلب ويبعده عن الله عز وجل داء العشق.

فهو مرض يُردي صاحبه في المهالك، ويبعده عن خير المسالك، ويجعله في الغواية، ويضله بعد الهداية.

وهو ذل في النفس، وران على القلب، وهوان في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

هو الداء الذي تذوب معه الأرواح، ولا يقع معه الارتياح، بل هو بحر هائج من ركبه غرق؛ لأنه لا ساحل له.

فما العشق؟.

وما أنواعه؟.

وهل هو اختياري أم اضطراري؟.

تساؤلات كثيرة أحببنا الإجابة عليها وعلى غيرها من خلال هذا الكتاب.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يسدد خطانا لطريق الصواب والفلاح، إنه على كل شيء قدير.



تعريف العشق

العشق في اللغة:

(العين، والشين، والقاف) هذه المادة تدل في معناها اللغوي على تجاوز حد المحبة[(١)].

قال ابن منظور:

(العشق فرط الحب وقيل هو عُجْب المحب بالمحبوب)[(٢)].

وسمي العشق عشقاً لذبول القلب من شدة الهوى، كما تذبل العَشَقة إذا قُطعت، وهي شجرة تخضر ثم تَدقُ ثم تصفر.

وقال ابن تيمية:

(المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة إنما هو في محبة

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٢).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٢٥١).

جنس النكاح، مثل حب الآدمي مثله ممن يستمتع به، من امرأة، أو صبي، فلا يكاد يُستعمل هذا اللفظ في محبة الإنسان لولده وأقاربه ووطنه وماله ودينه وغير ذلك، ولا في محبة آدمي لغير صورته مثل محبة الآدمي لعلمه ودينه وشجاعته وكرمه وإحسانه ونحو ذلك.

بل المشهور من لفظ العشق هو محبة النكاح ومقدماته، فالعاشق يريد الاستمتاع بالنظر إلى المعشوق، وسماع كلامه، أو مباشرته بالقبلة والحس والمعانقة أو الوطء)[1].

وفي هذا الكلام فائدتان:

الفائدة الأولى:

أن العلاقة بين العبد والرب لا يجوز أن يطلق عليها عشق أبداً، كما أطلق المنحرفون من الصوفية والملاحدة كابن عربي وابن سبعين وغيرهما ذلك على الله عَزَّ وَجَلَّ، فقالوا: إن

---

(١) قاعدة في المحبة (٥٤-٥٥).

العشق والعاشق والمعشوق شيء واحد، وقالوا بأن الله سبحانه وتعالى قد اتحد في خلقه فصار هؤلاء شيئاً واحداً، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً!.

الفائدة الثانية:

لا يقال: فلان عشق عالماً، ولا عشقت في فلان علمه وخلقه ودينه، فهذه عبارات غير مستعملة؛ لأن العشق مرتبط بالشهوة والعلاقات الشهوانية.

أنواع العشق

العشق يقع بين طرفين: عاشق ومعشوق، قد يكون كل منهما عاشقاً لصاحبه، وقد يكون العشق من طرف واحد.

وهناك أمثلةٌ كثيرة في التاريخ على العشق من طرفين كقيس وليلى، وعنترة وعبلة، وجميل بثينة، وكُثَيِّر عزة وغيرهم، ممن كانت حرارة العشق ولوعته موجودة عند كلا الطرفين، كما في قول الشاعر:

عَيْنَــاكِ شَاهِدَتَـانِ أَنَّـكِ مِـنْ
حَرِّ الهَوَى تَجِدِينَ مَا أَجِــدُ
بِكِ مَا بِنَا لَكِنْ عَلَى مَضَضٍ
تَتَجَلَّدِينَ وَمَـا بِنَـا جَلَـدُ[(١)]

والعشق الذي يكون من طرف واحد قد ورد له مثال في السنة النبوية، وذلك في قصة بريرة رضي الله عنها مع زوجها مُغيث

(١) روضة المحبين (٧٨).

رضي الله عنه، فإن بريرة كانت أَمَة، فلما عتقت خيَّرها النبي ﷺ بين أن تبقى مع زوجها أو تعتق، فاختارت العتق، وللمرأة الحق شرعاً في ذلك إن عتقت وزوجها عبد، وكان مغيث يحب بريرة حباً عظيماً، فلما اختارت الانفصال تأثر لفراقها كثيراً.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كأني أنظر إلى مغيث يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس رضي الله عنه : «**يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثاً**». فقال النبي ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**». قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**». قالت: لا حاجة لي فيه[1].

فهذا العشق وقع بين اثنين يباح بينهما الحب؛ لأنهما زوجان، وقد يقع العشق بين طرفين لا يباح بينهما ذلك، كما هو الحال في كثير من علاقات الحب والعشق المحرمة.

(١) رواه البخاري (٥٢٨٣).

والعشق أربعة أنواع باعتبار أطرافه:

النوع الأول: عشق الرجال للنساء، وهو الأعم الأغلب.

وإذا قلنا إن فيه نوعاً مباحاً فهو علاقة النكاح بين الرجل وزوجته، أو علاقة التسري بين السيد والأمة، فإذا لم يصل إلى درجة تمس العبودية، أو ارتكب لأجله المحرمات، أو ترك لأجله الطاعات؛ فإنه يبقى في دائرة المباح.

النوع الثاني: عشق النساء للرجال، وهو كسابقه له حالات جائزة، وله حالات محرمة، من الحالات المحرمة ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى في كتابه عن قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، فكان منه عفة وصبر وتقوى، وكان منها العشق والمطاردة والحرص على إيقاعه في الحرام.

وقد كان الداعي لديه قوياً، وثبته الله عز وجل، فقد كان فيه ميل طبيعي إلى المرأة بما ركبه الله في طبعه كرجل من الميل إلى النساء، وكان شاباً، عزباً، في بلاد غربة، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، وغير آبية ولا ممتنعة بل هي الداعية له، وأسقطت الحواجز النفسية، وهو في دارها، وتحت سلطانها، وهو عبد

عندها فلا يخشى على نفسه التهمة، بل يدخل ويخرج دارها بحكم عمله عندها، واستعانت عليه بمن حولها من نساء بلدها، وتوعدته بالسجن والصغار، إن لم يلبي طلبها.

بالرغم من هذا كله فإن يوسف عليه السلام قد آثر مرضاة الله تعالى، واختار السجن على الزنا، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]، وصرف الله تعالى عنه كيدها وكيدهن، وكانت في تلك الواقعة عِبَرٌ عظيمة وفوائد كثيرة.

النوع الثالث: عشق الرجال للرجال، وهو ممقوت عند الله، وجالب لغضبه وسخطه، وهو من أضر الأمور على العاشق والمعشوق في الدين والدنيا والآخرة.

ومن هذا النوع عشق الرجال للمردان، وعمل قوم لوط الذين جلبوا لأنفسهم نقمة الله وعذابه بما فعلوا من هذه الجريمة العظيمة المتولدة من عشق الذكران، حتى وصف الله تعالى عشقهم بأنه سَكرٌ فقال: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. إنه انتكاس للفطرة، وانحراف للطبع.

النوع الرابع: عشق النساء للنساء، وهذا النوع كسابقه في الجرم والمقت والدناءة والخسة، وكشفت إحدى الدراسات أن السبب الرئيس في انتشاره هو التعلق والإعجاب، وهو مؤذن بفساد مريع، وتدهور أخلاقي شنيع.

وهناك مظاهر تدل على العشق، منها:

١- محاولة إخفاء العلاقة والإسرار بها.

٢- إطالة الجلوس مع المعشوق.

٣- احتفاظ كلٍ من الطرفين بأسراره عند الآخر.

٤- التلفظ بعبارات تدل على الحب والغلو في هذه العلاقة.

٥- التصريح بالغيرة عليه.

٦- تقبل كل ما يصدر منه حتى لو كان فيه إساءة أو معصية.

٧- كثرة مخالطته، ومحبة الانفراد به.

هل العشق اختياري أم اضطراري؟

نسمع كثيراً ممن يشتكون من داء العشق ويقولون: إنهم لا يستطيعون ترك من يحبونهم، وأن الموت أهون عليهم من تركهم.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل العشق اختياري أم اضطراري؟.

حاول العشاق قديماً أن يعذروا أنفسهم بأن العشق اضطراري، وأنه لا حيلة لهم في هذا العشق، ومن ذلك قول الشاعر:

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ سَلْمَى كَأَنَّمَـا
يَرَوْنَ الهَوَى شَيْئاً تَيَمَّمْتُـهُ عَمْدَا
أَلَا إِنَّمَا الحُبُّ الَّذِي صَدَعَ الحَشَا
قَضَاءٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَبْلُو بِهِ العَبْدَا[1]

---

(١) روضة المحبين (١٤٢).

ومقصدهم بيان أن العشق قضاء وقدر، وهو بيد الله لا بيد المخلوق.

والحق كما ذكر ابن القيم وغيره من العلماء: أن مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف، وأن العاشق يتعمد العشق بالنظر والتفكر والتعرض للمعشوق، فبما أن الأسباب حصلت من العاشق فهو المتسبب في العملية، كما قيل:

تَوَلَّعَ بِالعِشْقِ حَتَّى عَشِقْ فَلَمَّا اسْتَقَـــلَّ بِهِ لَمْ يُطِـــقْ
رَأَى لُجَّــةً ظَنَّهَــا مَوْجَــةً فَلَمَّا تَمَكَــنَ مِنْهَا غَـــرِقْ
تَمَنَّى الإِقَالَــةَ مِنْ ذَنْبِــهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْهَا وَلَمْ يَسْتَطِقْ [1]

وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر؛ فإن تناول المسكر في أول الأمر اختياري، ولكن ما يتولد عنه بعد ذلك من ذهاب العقل يكون اضطراراً، فلما كان السبب وقع باختياره أولاً لم يكن معذوراً فيما تولد عنه.

(١) ذم الهوى (٥٨٦).

ولما كانت متابعة النظر واستدامة الفكر في هذا الذي أُعجب به، ثم تعلق به، ثم عشقه، اختيارية؛ فإنه يكون ملوماً على عشقه.

خطر العشق

إن بعض العشّاق يدّعون أن العشق يسمو بالنفس، ويصعد بالروح، ويجعلون العشق شيئاً إيجابياً، والحق أن العشق سلبياته أكثر من إيجابياته.

قال ابن تيمية:

(فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الخلق والدين، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا، أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود، وأصدق شاهد على ذلك ما يُعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس؛ فهي تُغني عن المعاينة والتجريب، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه الكفاية، فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته)[١].

---

(١) الاستقامة (١/ ٤٥٩).

فمن أضرار العشق وسلبياته:

١ـ أن العشق ربما أوقع صاحبه في الكفر بالله:

قال ابن القيم عن العشق: (وهو أقسام: وهو تارة يكون كفراً، كمن اتخذ معشوقه نداً يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟! فهذا عشق لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به.

وعلامة هذا العشق الكفري الشركي: أن يقدّم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحق ربه وطاعته قدّم حق معشوقه على حق ربه، وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه أردى ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه الفضلة التي تفضُل عن معشوقه من ساعته.

فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزناً يرضى الله به ورسوله ويطابق العدل!.

وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه، كما قال أحدهم:

يَتَرَشَّفْــنَ مِنْ فَمِي رَشَفَــاتٍ
هُنَّ أَحْلَى فِيهِ مِنَ التَّوْحِـيدِ

وكما صرح الآخر بأنَّ وَصْلَ معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه- والعياذ بالله من هذا الخذلان-:

رِضَاكَ أَشْهَـى إِلَى فُــؤَادِي
مِنْ رَحْمَــةِ الخَالِـقِ الجَلِيـلِ

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك.

وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه ألبته، بل قد ملك عليه معشوقه قلبه كله فصار عبداً مخلصاً له من كل وجه، فقد رضي هذا بعبودية مخلوق مثله على عبودية الخالق -جل جلاله- ؛ فإن العبودية هي كمال الحب والطاعة والخضوع، وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية، ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة؛ فإن تلك ذنب كبير لفاعله،

حكمه حكم أمثاله، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك!.

وكان بعض الشيوخ يقول: لئن أُبْتَلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلى من أن أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله)[١].

وهذا مجنون عزة يصف ما انتكس إليه قلبه فيقول:

رُهْبَــانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدتُهُمْ
يَبْكونَ مِنْ حَذَرِ العَذَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا
خَــرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وَسُجُودَا[٢]

وهذا رجل ببغداد يقال له صالح المؤذن أذن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، روي أنه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني -كان بيته إلى جانب المسجد- فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن،

---

(١) الجواب الكافي (١٥٠).

(٢) وفيات الأعيان(٤/ ١١٢).

ففتحت له، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟ -لأن المؤذن مؤتمن على أعراض الناس؛ حيث يصعد على المنارة وسطح المسجد، فيرى البيوت من حوله- قال: إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا، إلا أن تترك دينك. فقال: أنا برئ من الإسلام ومما جاء به محمد. ثم دنا إليها فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير؟ فأكل، قالت: فاشرب الخمر؟ فشرب، فلما دَبَّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتاً وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح، حتى إذا جاء أبي زوجني منك. فصعد السطح فزلَّت رجله فسقط فمات، فخرجت فلفته في خرقة، فجاء أبوها فقصت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فاشتهر حديثه عند الناس، فرمي في مزبلة[1].

وقال ابن القيم: (وإذا أراد النصارى أن يُنَصِّرُوا الأسير أروه امرأة جميلة، وأمروها أن تطمعه في نفسها، حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك

(١) ذم الهوى (٤٥٩).

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)[١].

٢ـ استعمال العاشق شتى الوسائل لوصال معشوقه:

إن العاشق يسعى للنيل من معشوقه بشتى الوسائل، وربما استعان العاشق على وصال المعشوق بشياطين الجن عن طريق السحر، وهذا موجود في الواقع، و معلوم لدى الناس.

فلأجل أن يصل إلى هذا المعشوق يستخدم العاشق السحر ليخضع المعشوق له، فيأتيه متى ما يريد، ولا يحتجب منه، ولا يمتنع عنه، وهذه طامة عظيمة؛ لأن السحر كُفر بالله العظيم.

٣ـ اشتغال العاشق بذكر المخلوق عن ذكر الخالق:

من مفاسد العشق: اشتغال العاشق بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب وذكره؛ لأنه لا يجتمع في القلب حب الخالق وعشق المخلوق، بل لابد أن يقهر أحدهما الآخر.

ولذلك فإن أصحاب العشق الشيطاني لهم من تولي الشيطان

---

(١) الجواب الكافي (١٥٥).

نصيب عظيم، ترى كثيراً منهم عبداً لذلك المعشوق، يصرّح في حضوره ومغيبه أنه عبده!.

وينتشر هذا الداء عند أصحاب الغناء، فإنهم يصرّحون في أغانيهم بأنهم عبيدٌ لمن يحبونه ويعشقونه، بل قد يعبّرون عن ذلك بالصلاة والعبادة.

وهذا العاشق يقدم رضا معشوقه على رضا ربه، ولقاء معشوقه على لقاء ربه، ويتمنى قرب معشوقه أعظم من تمنيه قرب الرب سبحانه، ويهرب من سخط معشوقه أشد من هربه من سخط الرب سبحانه، وقد يُسخط ربه لمرضاة معشوقه، ويقدم مصالح معشوقه على طاعة ربه، فإن فضل من وقته فضلة وكان عنده قليل من الإيمان صرف تلك الفضلة في طاعة ربه ، وإن استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها وأهمل أمر الله.

يجود لمعشوقه بكل نفيسة ونفيس، ويجعل لربه من ماله – إن جعل له– كل رذيلة وخسيس، فلمعشوقه لبه وقلبه وهمّه ووقته وخالص ماله، ولربه الفضلة! قد اتخذه وراءه ظهريّاً،

وصار لذكره نسّياً، إن قام في خدمته في الصلاة فلسانه يناجيه وقلبه يناجي معشوقه، وإن وجّه بدنه إلى القبلة فقلبه موجه إلى معشوقه.

ينفر من خدمة ربه حتى كأنه واقف في الصلاة على الجمر من ثقلها عليه، فإذا جاءت خدمة المعشوق أقبل عليها بقلبه وبدنه فرحاً بها، ناصحاً له فيها، خفيفة على قلبه لا يستثقلها ولا يستطيلها.

ولا ريب أن هؤلاء من الذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، وهذا مجنون ليلى يقول:

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْـتُ نَحْوَهَا
بِوَجْهِـي وَإِنْ كَانَ الـمُصَلّـَى وَرَائِيَـا
وَمَا بِـيَ إِشْرَاكٌ وَلَكِــنَّ حُبَّهَــا
كَعَظْمِ الشَّجَى[1] أَعْيَا الطَّبِيبَ الـمُدَاوِيَا[2]

---

(١) عظم الشجى: هو العظم المعترض في الحلق، والذي يصعب إخراجه، كحسك السمكة.

(٢) ذم الهوى (٤٠٣-٤٠٤).

٤ـ عذاب قلب العاشق:

فإن من أحب شيئاً غير الله عُذِّب به ولابُد، كما قيل:

فَمَا فِي الأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ
وَإِنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المذَاقِ
تَـــرَاهُ بَاكِيــاً فِي كُــلِّ حِيـْنٍ
مَخَافَةَ فُرْقَــةٍ أَوْ لِاشْتِيَــاقِ[1]

والعشق وإن استلذ به صاحبه فهو من أعظم العذاب، والعاشق قلبه أسيرٌ في قبضة معشوقه، يسومه سوء الهوان، يحركه يميناً وشمالاً، يستجيب له كالطفل الذي يحرك الآلة بجهاز التحكم، ولكن لسُكرة العشق لا يشعر بالمصيبة، فقلبه:

كَعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُهَا
حِيَاضَ الرَّدَى وَالطِّفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ[2]

---

(١) ذم الهوى (٥٩٢).
(٢) معجم الشعراء (١١٤).

والعاشق كما قيل:

طَلِيــقٌ بِرَأْيِ العَيْــنِ وَهْوَ أَسِيـرُ
عَلِيلٌ عَلَى قُطْـبِ الهَلَاكِ يَدُورُ
وَمَيْتٌ يُرَى فِي صُورَةِ الحَيِّ غَادِياً
وَلَيْسَ لَهُ حَتَّـى النُّشُورِ نُشُورُ
أَخُو غَمَـرَاتٍ ضَاعَ فِيهِنَّ قَلْبُــهُ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى المَماتِ حُضُورُ(١)

٥ـ اشتغال العاشق عن مصالح دينه ودنياه:

فليس شيء أضيع للدين ومصالح الدنيا من عشق الصور.

أما ضياع الدين فلأن هذا الإنسان قد تفرق قلبه عن الله بالعشق، فلا يجد وقتاً لمرضاة ربه.

وأما مصالح الدنيا فهي تابعة لمصالح الدين، فإذا انشغل عن مصالح الدين فعن مصالح الدنيا أشد شغلاً وتفريطاً.

(١) الجواب الكافي (١٥١).

٦ـ أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى العشاق من النار في الحطب اليابس:

وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله بالمعشوق بَعُد عن الله، فأبعد القلوب عن الله قلوب العشاق، وإذا بَعد القلب عن الله طرقته الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية، ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم يدع أذىً يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله.

فما الظن بقلبٍ تمكن منه عدوه وأحرص الخلق على غيه وفساده؟!. وكذلك فإن العشق إذا تمكن من القلب واستحكم، أفسد العقل، وأفسد الذهن، وأحدث الوساوس، وأفقد القدرة على التفكير، ولذلك تراه لا يُتقن درساً، ولا يفلح في تجارة، ولا يحسن النظر في قضية، ولا يُجيد حَلَّ مشكلة؛ لأن التفكير قد شلَّ، والقلب قد علاه الران، فلم يَعُد يدري كيف يفكر!.

وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن البهائم، فإذا عَدِم العقل وفقده التحق بالبهائم، وربما كان حال الحيوان أصلح من حاله.

وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرَّ به إلا العشق؟!.

بل زاد جنونه على جنون غيره:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ
العِشْـقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالـمَجَانِيـنِ
العِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ
وَإِنَّمَا يُصْـرَعُ المجْنُونُ فِي الحِينِ[(١)]

أما الفساد المعنوي: فهو فساد القلب، والقلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، والقلب الفاسد يُرِي صاحبه القبائح محاسن، ويُعمي العشق عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب المعشوق، وعن تبصر عيوبه، فلا ترى عَين العاشق أبداً عيوب المعشوق، فيصم أذنه عن الإصغاء إلى أي قادحٍ فيه ومنبهٍ على أخطائه، ويستميت في الدفاع عنه، ولو كان خطأ المعشوق واضحاً.

ولما بلغ السيل الزبى، وبلغ به هذا المبلغ، لم يَعُد يرتضي أن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٥).

يقدح في معشوقه أحد، أو أن يذمه أحد، أو أن ينتقده أحد، فيدافع عنه بالحق والباطل، ويستميت في ذلك.

والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه، حتى إذا زالت الرغبة أبصر العيوب، وكانت هذه الرغبة ستاراً يُغشي البصر، ولذلك قال ذاك العاشق:

عَلِقْتُكِ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ
فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِـي أَلُومُهَا[١]

فعندما كان عاشقاً كانت عليه غشاوة، وبعد أن ذهب عنه ذلك العشق أصبح يتساءل: كيف كنت معجباً بهذه؟.

وهكذا.. فإن الداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والذي هو خارجه لا يرى عيوبه أيضاً، فلا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه، ولكن الذي يدخل العشق ويخرج منه قليل جداً.

---

(١) ذم الهوى (٣٣٢).

لماذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الإسلام؟.

لأنهم عرفوا الكفر ورأوه وذاقوه ومارسوه، ثم بعد ذلك اهتدوا، فعرفوا الجاهلية وعرفوا الإسلام، وهذا معنى قول عمر رضي الله عنه: (إنما تنتقض عُرى الإسلام عروةً عروة إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

وأما إفساد العشق للحواس فشيء ظاهر؛ فإنها تمرض كما يمرض البدن، فبدن العاشق تنسل منه العافية، فترى العاشق نحيلاً مريضاً كئيباً هزيلاً ضعيفاً طريح الفراش، لا يستطيع أداء عمل، ولا إفادة أحد.

رُفع إلى ابن عباس رضي الله عنهما شاب عاشق وكان ابن عباس بعرفة، وقد انتحل الشاب حتى صار جلداً على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس رضي الله عنهما يتعوذ من العشق سائر يومه في عرفة[١].

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٩).

فمِن فَرَطِ المحبة يستولي العشق على قلب المعشوق، حتى لا يستطيع أن ينسلخ من محبوبه، ولا أن يترك التفكير فيه، فصورة محبوبه دائماً في ذهنه، دائماً على لسانه، يراه في منامه، ويتخيله في يقظته، يصحو على ذكره وينام على صورته، ولا يغيب عن خاطره.

تتعطل قواه الجسدية، وتفسد روحه، وتتغير أفعاله، وتنقلب صفاته، وتنعكس مقاصده، ويحدث لديه اختلال عقلي وجسدي وروحي.

وهو مرض من أخطر الأمراض، فلا تكاد ترى له دواءً، ولا طبيباً.

الحُــبُّ أَوَّلَ مَــا يَكــونُ لجَاجَــةٌ
يَأْتــي بِهَـا وَتَسُوقُــهُ الأَقْــدَارُ
حَتَّى إِذَا خَاضَ الفَتَى لُجَجَ الهَوَى
جَاءَتْ أُمُــورٌ لَا تُطَاقُ كِبَـارُ[1]

---

(١) ذم الهوى (٣٣٤).

العشق مبدؤه سهل حلو، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، ولذلك وصل الحال ببعض العشاق إلى الموت بسبب العشق.

هناك عشاق ماتوا، لا زالوا يذبلون ويذبلون، لا يشتهون طعاماً، ولا يذوقون راحة، حتى ماتوا.

وَعِشْ خَالِياً فَالحُبُّ أَوَّلُهُ عَنَا
وَأَوْسَطُهُ سُقْمٌ وَآخِرُهُ قَتْـلُ (١)

والمسألة يجني بها العاشق على نفسه، بدايتها منه، وأسبابها منه، وهو الذي أرادها، ومشى إليها، وسعى فيها.

هو الذي تعمد النظر، وهو الذي قصد التفكير، وهو الذي استدام طول المجالسة، وكثرة الحديث مع هذا المعشوق، حتى وصلت القضية إلى العشق.

فالمسألة كانت بيده أولاً، وكان من الممكن أن يرجع قبل الغرق في بحر العشق، لكن بعدما صار في لجج الهوى كيف يرجع؟.

---

(١) روضة المحبين (١٤١).

لو أدخلت فرسك في زقاق ضيق جداً فمن الممكن أن ترجع إلى الخلف في بداية الزقاق بشيء بسيط من الجهد، لكن إذا أصبحت في وسط الزقاق وقد أبعدت وأوغلت، فكيف ترجع؟.

إن الدابة لا تستطيع الدوران للرجوع، ولا تستطيع أن تمشي إلى الخلف.

ولذلك فإن من دخل في هذا الموضوع لا يستطيع أن يتركه إلا بتوفيق الله.

٧ـ فساد سيرة العاشق بين الناس:

إن هذا العاشق يضر بسيرته وسمعته عند الناس، فتصبح سيرته على كل لسان، ويتناقل الناس قصصه متلذذين شامتين، وربما افتروا عليه فيها ليجملوا القصة ويحسنوها، وقد يتهموه بالفاحشة وغير ذلك.

٨ـ استغلال المعشوق العاشق أحياناً:

ربما يستغل بعض هؤلاء المعشوقين تلك العلاقة المحرمة،

ويستغلون العاشق استغلالاً بشعاً، فيأخذون أمواله وبعض ممتلكاته.

تحدثت إحدى العوائل عن ابنها الذي سافر إلى بلدٍ من البلدان، وعشق امرأة هناك، طارت بلبه، وذهبت بعقله، فأنفق عليها الكثير من أمواله في المطاعم، والفنادق، والهبات، والأعطيات، والملابس، والحلي وغير ذلك، حتى رجع مفلساً.

وقد يدخل بعضهم السجن بسبب السرقة أو الاقتراض من أجل محبوبته.

٩ـ العشق ربما أدى إلى القتل وارتكاب الجرائم:

فكم للعشق من قتيل من الجانبين!.

فربما عمد العاشق إلى قتل أي طرف آخر يقترب من معشوقه أو معشوقته!.

فهذا العشق كم قد أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل، وكم أفسد من أسر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠- عدم التوفيق للخاتمة الحسنة:

ومن مفاسد العشق: عدم توفيق العاشق للخاتمة الحسنة إلا أن يتغمده الله برحمته، وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد يخدعه الشيطان، فكيف إذا صار غافلاً عن ذكر الله؟.

وكيف إذا نزل به الموت، وسقطت قواه، واشتغل قلبه بألم النزع، واجتمع عليه كيد إبليس، وحشد عليه كل ما يقدر لينال الفرصة النهائية بخروجه من الدنيا، فهل يسلم العاشق عند ذلك في هذه اللحظة من الضعف؟!.

هنالك ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والسؤال هو: كيف يوفق لحسن الخاتمة من غفل قلبه عن ذكر الله، واتبع هواه وكان أسيراً للشهوات والموبقات؟!.

من كانت جوارحه معطلة عن طاعة الله، ولسانه بعزل عن ذكر الله، وكان مشغولاً بالمعصية وخدمة المعشوق، كيف تكتب له العاقبة الحسنة؟!.

وقصة صاحب منجاب الذي مات على ذكر محبوبته واعظٌ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

روي أن رجلاً نزل به الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟.

وقصته أنه كان واقفاً على باب داره، وكان بابه يشبه باب حمام، فمرت به جارية لها منظر جميل وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب. وأشار إلى داره، فدخلت الدار، فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليست بحمام علمت أنه خدعها، فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة في تلك الدار، وقالت له: يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا، فهلا جئت بشيء من الطعام. فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين، وبكل ما تشتهين. وخرج، فتركها في الدار ولم يغلقها، وتركها مفتوحة على حالها، ومضى، فأخذ ما يصلح لهما، ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم يجد لها أثراً، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وظل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

يَا رُبَّ قَائِلَــةٍ يَوْمـاً إِذَا بَلَغَــتْ
أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّــامِ مَنْجَــابِ

وبعد أشهر مر في بعض الأزقة وهو ينشد هذا البيت، وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

هَلَّا جَعَلْتَ لَهَا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا
حِرْزاً عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلاً عَلَى البَابِ

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى مات على الحال التي ذكرنا، فنعوذ بالله من المحن والفتن[١].

وقريب منه:

ذلك الذي كان يعشق شاباً اسمه أسلم، واشتد به الأمر إلى أن أصابه المرض بسبب فراقه، وحضرته الوفاة، فقيل له: قل لا إله إلا الله. فقال:

أَسْلــمُ يَا رَاحَـةَ البَـالِ العَلِيـل
وَيَا شِفَــاءَ المدْنِــفِ النَّحِيــل

(١) العاقبة في ذكر الموت (١٧٩-١٨٠).

رِضَـــاكَ أَشْهَـــى إِلَـى فُـؤَادِي
مِـــنْ رَحْمَـــةِ الخَالِـقِ الجَلِيــل

ومات على هذه الكلمة[١].

١١ـ فساد العقل:

العشق قد يفسد العقل، فترى الناس في وادٍ والعاشق في وادٍ آخر، دائم التفكير بمحبوبه، فلا يستطيع أن يستفيد من عقله، ولا يُفيد أحداً بفائدة.

بل إنه ربما جعل دواءَه داءَه!.

(١) ذم الهوى (٥٦٠).

أسباب العشق

للوقوع في العشق أسباب عديدة منها:

١ـ إعراض القلب عن محبة الله:

قال العلماء عن العشق: (العشق حركة قلب فارغ)[١].

والقصد أن القلب لو كان فيه محبة الله لا يمكن أن يدخله العشق، فالعشق إنما تُبْتَلى به القلوب الفارغة من محبة الله.

قال ابن القيم: (ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولابد)[٢].

فإن لم يكن هناك محبة قوية لله سبحانه وتعالى؛ فلابُدَّ أن تدخل محبة شخص آخر ذلك القلب، فإن النفس لا تقعد فارغة،

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٤٦).
(٢) طريق الهجرتين (٤١٣).

وإن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والقلب إذا خلا من محبة الله امتلأ بغيره.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى
فَصَادَفَ قَلْباً خَاوِياً فَتَمَكنَا[١]

٢ـ الجوع العاطفي:

بعض الناس يكون عنده جوع عاطفي، فعاطفته لم تُشْبَع منذ صغره، فربما كان مفتقداً لحنان أمٍ ترضعه وترعاه، وشفقة أبٍ يحوطه ويحنو عليه، فيبحث عن هذا الحنان من خلال العشق.

وهؤلاء الأطفال الذين عاشوا في أسرة مفككة.. أبوه قد طلَّق أمه، ولم يراعيا أطفالهما، بل قد يكون الطفل عاش في بيت ثالث، فلم يذق حنان أمه، ولم يعرف شفقة أبيه؛ هؤلاء الأطفال هم أكثر الناس عرضة لهذا النوع من العشق؛ لجوعهم العاطفي.

(١) روضة المحبين (١٣٨).

لذلك فإن إشباع غريزة الطفل في العاطفة من قِبل الأبوين يجعل له ثباتاً نفسياً، وربما يُبعِدُ عنه مثل هذه الآفات.

٣ـ الأغاني المحرمة والأفلام الهابطة والروايات الرومانسية:

من الأسباب العظيمة للوقوع في العشق: هذه الوسائل الخطيرة من الأغاني والأفلام الهابطة، التي تدعو إلى الفحشاء والعلاقات المحرمة، فجُلُ الأغاني ونسبة كبيرة من الأفلام تدور حول هذا الموضوع.

فكلمات الأغاني تدور حول المحبوبة والمعشوقة، ولا تتحدث إلا عن الحب والغرام، ولا تصف إلا أحوال العشاق.

والأفلام تصور قصص العشاق بأفضل الوسائل التكنولوجية الحديثة، بقصص كتبها متخصصون، ومثلها ممثلون، مع ما يصاحبها من الموسيقى الحالمة، والكلمات المثيرة، مما جعل كثيراً من الناس يعجبون بالعشق والغرام، ويسعون لتطبيق من سمعوه وشاهدوه.

وليست الروايات الرومانسية ببعيدة عن هذه المفاسد، بل قد تزيد مفاسدها في بعض الأحيان.

إن هذه الأفلام والروايات قد أضرت بشبابنا وفتياتنا أعظم الضرر، وأوقعتهم في مرض العشق، فهاموا على وجوهم في صحراء المعاصي، لا يجدون مَعلَماً للحق يأوون إليه ؛لعظم تعلق قلوبهم بغير الله.

هذا الجوع العاطفي جعل الشباب في هيجان شديد، يبحثون عن الشهوات المحرمة والعلاقات المشبوهة في كل وقت.

٤ـ ضعف الشخصية والتقليد:

إن العاشق فيه ضعف في الشخصية، لا يستطيع أن يتحكم في عواطفه ومشاعره، بل يجرفه التيار، ولذا يقع فيما يقع فيه الناس بدون تفكير، ولو كان جازما قوي الشكيمة لامتلك زمام نفسه، وردها عن هذا الغي.

٥ ـ غياب القدوة الصالحة:

من أسباب الوقوع في العشق: عدم وجود القدوة الصالحة التي توجِّه عواطف الشباب والفتيات إلى ما ينبغي حبه، وهو حب الله ﷻ أولاً، وحب رسوله ﷺ ثانياً، وحب الصالحين

ثالثاً، فحمل النفس على حب الله ورسوله ﷺ وحب الصالحين تجعل في القلب غُنية عن ملئه بحب الصور والعشق المحرم.

٦ـ الفراغ:

الفراغ داء العصر، أشغل كثيرا من الشباب بالمعاصي، خاصة عندما يكون الشاب في مجتمع غني لا يحتاج فيه للعمل، فيتفرغ للعشق والهيمان، والذهاب للأسواق، والسير خلف فلان وفلانة، وتضييع الساعات الطويلة في هذا الأمر.

٧ـ مظاهر الزينة:

ومن أسباب الوقوع في العشق: انتشار مظاهر الزينة التي كثرت في هذا العصر، فزينت الأجساد بما بهر الألباب، وأوقع القلوب في سجن العشق.

٨ـ عدم حفظ الجوارح:

إن عدم حفظ الجوارح يدفع بالإنسان إلى وقوع القلب في العشق والهوى، وقد يكون العشق بالنظر أو بالسمع.

فوقوع العشق بالنظر واضح جداً، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الـمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**»[1]، فتأمل كيف بدء النبي صلى الله عليه وسلم بذكر النظر.

وقد يكون السمع طريقاً إلى ذلك، فقد أوقع سماع الأغاني كثيراً من الشباب في العشق، فكان سماع الأغنية الذي وقر في القلب هو الذي أدى إلى هذه الهاوية، كما قال بشار بن برد:

يَا قَوْمِ أُذْنِــي لِبَعْــضِ الحَيِّ عَاشِقَةٌ
وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْـنِ أَحْيَانَـا

قَالُوا: بِمَنْ لَا تَرى تَهْذِي، فَقُلْتُ لَهُمْ:
الأُذْنُ كَالعَيْنِ تُوفِي القَلْبَ مَا كَانَا[2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُبَاشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ فَتَنْعَتُهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا**»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).
(٢) الأغاني (٣/ ٢٣٥).
(٣) رواه البخاري (٥٢٤٠).

لماذا؟.

حتى لا يعشقها، فإن القلب قد يعشق بالسماع.

وهذا خطأ يقع فيه كثير من الزوجات، فتجلس الزوجة تصف لزوجها امرأة أخرى، شكلها كذا، وطولها كذا، ولونها كذا، وتحدثه عن مميزاتها، وضحكها، ومزاحها.

فيقع الرجل في غرام هذه المرأة، حتى وإن لم يَرَها.

وبعض الأزواج تزوج ثانية من وراء وصف زوجته لهذه الثانية، كانت زميلتها فإذا بها تصبح ضرتها!.

سبل الوقاية من العشق

للوقاية من الوقوع في مرض العشق وسائل عدة، من أبرزها ما يلي:

١ـ اجتناب أسباب العشق:

الطباع تتساوى في الميل إلى الهوى، فينبغي للحازم اجتناب أسبابه، والبعد عنه منذ البداية، فيحمي سمعه وبصره من مسببات الهوى.

٢ـ محبة الله وحده وملء القلب بها:

قال ابن القيم: (ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف كل قوى حبه لله تعالى وحده، بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه، فيوحد محبوبه، ويوحد حبه، فتوحيد المحبوب ألا يتعدد محبوبه)[١].

---

(١) روضة المحبين (١٩٩).

فيجب على الإنسان ألا يبقى في قلبه حب إلا وبذله لله، فيحب الله، ويحب في الله، ويبغض في الله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وهذا الحب غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا به.

محبة الله فوق محبة العشاق والمحبين لمحبوبيهم، إنها أكمل وأعظم وأكثر وأشد من محبة المال والولد والوالد؛ لأن محبة الله فيها كمال ذل وخضوع وتعظيم وطاعة وانقياد ظاهراً وباطناً.

٣ـ تحليل العلاقات:

على الإنسان العاقل أن يحلل علاقاته مع الآخرين، فينظر لم أحبَّ فلاناً ولم كَرِهَ الآخر، ولا يعمل على خداع نفسه، فلا يبرر لنفسه أنه يحب فلاناً في الله مع أن الحقيقة أنه يحبه لجمال منظره، وبهاء طلعته.

٤ـ غض البصر:

الواجب على من وقع نظره على مستحسن فوجد لذة تلك النظرة أن يصرف بصره؛ لأن النظر متى عاود الكرة وقع في اللوم شرعاً وعقلاً.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠]، فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج أزكى للنفس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور، ومن ذلك العشق.

والعشق له علاقة قوية بالنظر، وعلاجه غض البصر، وعدم تكراره؛ فإن النظر كالبذرة التي تبذر في الأرض، فالنظرة الأولى هي البذرة، ولكن معاودة النظر هو الماء الذي تسقى به تلك البذرة.

فإذا تعاهد الشخص تلك البذرة بالسقي، فستصبح البذرة شجرة قوية لا يمكن انتزاعها.

ولذلك، فإن غض البصر من أعظم الوقايات.

علاج العشق

أما علاج العشق فيختلف بحسب المرحلة التي وصل إليها العاشق، فدخول الهوى يسير، ولكن الخروج منه شديد.

من علاجات العشق:

١ـ الفرار:

البعد عن أرض المعشوق من أعظم علاجات العشق، كما يقال: البعيد عن العين بعيدٌ عن القلب.

فعلى العاشق أن يسافر إلى بلد آخر، ويترك المكان الذي يرى فيه معشوقه، فيغير مسكنه، أو مقر عمله.

وعلى المسلم أن يحذر من خديعة إبليس، والتي ينصح بها العشاق وأهل الغرام.

نَعِمَتْ بِهَا عَيْنِـــي فَطَـالَ عَذَابُهَـا
وَلَكَمْ عَذَابٌ قَدْ جَنَـاهُ نَعِيـمُ!

نَظَرَتْ فَأَقْصَدَتِ الفُــؤَادَ بِسَهْمِهَا
ثُمَّ انْثَنَتْ نَحْوِي فَكِدتُ أَهِيمُ
وَيْلَاهُ إِنْ نَظَرَتْ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ
وَقْعَ السِّهَـامِ وَنَزْعُهُنَّ أَلِيمُ(١)

ولابُدَّ للمعشوق أن يكون له دور في العلاج، فعليه أن يفر من العاشق، ويخرج من أرضه، ويُخَلِّي الطريق فارغاً، حتى لا يقع العاشق على خبر له، ولا على حس أو أثر، فلا يراه ولا يسمع كلامه، حتى ينساه شيئاً فشيئاً.

وقد يحس المعشوق بالألم لهذا الفراق، ويزداد عذاباً به، فيقال له: اصبر، فإن النصر مع الصبر.

وقد يقول: أوشكت على الموت، فنقول له: لو مت فأنت مأجورٌ بإذن الله؛ لأنك منعت نفسك عن الحرام. وإن عشت فستحيا حياة كريمة تتخلص فيها من هذا البلاء.

وإياك من النظرة الأخيرة، فإن بعضهم قد يقول عندما

---

(١) ذم الهوى (٥٩١).

يشتد به الأمر: هاتوه لحظة أراه وأجلس معه قليلاً فقط، فنقول: لو جلس معك ورأيته فسترجع إلى ما كنت عليه.

كما أن على المعشوق أن يتقي الله وينصرف عن طريق العاشق وإلا فإنه سيعرض العاشق للتلف، وذلك ظلم منه، بل عليه أن يسعى بكل طريق في إنقاذه وإخراجه من هذه الحالة بالبعد عنه.

٢ـ تأمل مساوئ المعشوق :

إن عين المحب كليلة عن عيوب المحبوب، والعاشق لا يكاد يرى شيئاً من عيوب محبوبه، بل قد يراها من المحاسن.

ومن علاج الهوى أن يتأمل الإنسان في مساوئ محبوبه، كيف يحمل النجاسات في أحشائه وأمعائه! وإذا كانت امرأة ماذا يحصل لها من الحيض والنفاس والدماء!.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها)[(١)].

(١) ذم الهوى (١٥).

يذكر أن رجلاً وزوجته ذهبا إلى أمير من أمراء العراق ليقضي بينهما في خلاف، والمرأة منتقبة مكتحلة، ولها حسن منطق ولسان، فكأن هذا الأمير مال معها ضد الزوج، وقال للزوج: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها! فأهوى الرجل إلى نقاب زوجته فشده وكشف وجهها. فقال الأمير: عليكِ اللعنة، كلام مظلوم ووجه ظالم[1].

قال ذلك لما رأى المنظر الحقيقي لبقية الوجه، واتضح له أن المرأة ليست جميلة.

٣ـ ردع النفس عن الحرام:

على الإنسان أن يردع نفسه عن الحرام، فإن كانت المعشوقة زوجة لرجل يقول لنفسه: هذه زوجة رجل، فكيف أعشقها؟.

وإذا كان ذكراً قال: هذه العلاقة التي لعن الله عليها قوم لوط وأهلكهم وعاقبهم بعقوبات ما عاقبها غيرهم: ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر: ٣٧]، ﴿ جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

(١) ذم الهوى (٥٨٥).

عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود:٨٢]، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [الحجر:٧٣]، ليس هناك قوم عاقبهم الله مثل قوم لوط؛ فإذا جاء في نفسه عشق أحد الذكران أو المردان؛ فليردع نفسه عن هذا العشق بتذكيرها بهذا العقاب الأليم.

٤ـ تذكير النفس بعظمة الرب سبحانه:

لو أن الإنسان رأى زوجة ملك من الملوك فهويها، وتعلق قلبه بها، فما الذي يقطعه عنها؟.

إنه الخوف من ذلك الملك، وخوف انتقامه وبطشه.

فعلى المرء أن يذكر نفسه بعظمة الرب سبحانه، وأنه شديد العقاب، قوي البطش.

٥ـ النظر في عواقب العشق:

إن العشق يورث قلقاً دائماً، وعواقب مشينة، وأضراراً عظيمة.

فالعشق يُصَيِّر الإنسان سفيهاً تافهاً، وينقص عقله وحكمته.

والعشق مشوب بالغموم، والهموم، وخوف الفراق، وفضيحة الدنيا، وحسرات الآخرة.

والعاقل إذا رأى أن هذا المرض سيفضي به إلى الهلاك فإنه سيعالج نفسه منه ولابُدّ، فكذلك العشق، هذا المرض القلبي لابُد للعاقل أن يسارع إلى علاج نفسه منه إذا وقع فيه.

٦ـ الدعاء:

الدعاء هو السلاح الذي لا يخون في النوائب والملمات، السلاح الناجع الذي ينبغي على المؤمن أن يستعمله في كل وقت وحين، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقد كان من هدي النبي ﷺ تعليم الصحابة أدعية لمواجهة العشق، فعن شكل بن حميد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاء. قال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**»(١).

(١) رواه أبو داود (١٥٥١)، وصححه الحاكم.

وكان ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**»[١].

فإياك والاغترار بنفسك، فتبتعد عن الدعاء وتأمن المكر.

إِذَا لَمْ يَكنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى
فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[٢]

قال ابن القيم: (فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثاً به، متضرعاً متذللاً، مستكيناً، فمتى وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق).

٧ـ الصبر:

فإن الصبر عاقبته حميدة، والنصر مع الصبر، وتجرع مرارة الصبر الآن خير لك من تجرع مرارة غسلين في نار جهنم، والعياذ بالله.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢١).
(٢) نفح الطيب (٦/ ١٧٧).

٨ـ مجاهدة النفس :

قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

٩ـ استشارة من يثق فيه:

ما خاب من استشار ولا ندم، ولذلك على من وقع في هذه المصيبة أن يأخذ برأي إخوانه فيما يستعين به في مواجهة هذا المرض.

ويستعين بالإخوان الصالحين، الذين ينصحونه حق النصيحة، ويرشدونه إلى الطريقة الشرعية المنجية من هذا الداء.

الخاتمة

قال ابن القيم رحمه الله عن العشق: (تلك لعمر الله الفتنة الكبرى، والبلية العظمى، التي استعبدت النفوس لغير خالقها، وملَّكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد، فصيرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوب محنةً، وملأتها فتنةً، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالي من غرف الجنان، فضلاً عما فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس الذي ألمها به أضعاف لذتها، ونيله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً من قريب، ويتبرأ منه لو أمكنه حتى كأن لم يكن له بحبيب، وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، لاسيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا

المتقين، فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، وانتقضت منفعتها وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة وبقيت الشِّقوة، وزالت النشوة وبقيت الحسرة، فوارحمتاه لِصَّب جُمع له بين الحسرتين: حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم، فهناك يعلم المخدوع أي بضاعةٍ أضاع، وأَنَّ من كان مالك رقه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع!، فأي مصيبة أعظم من مصيبة ملك نزل عن سريره! وجعل لمن لا يصلح أن يكون مملوكه أسيراً! وجُعِلَ تحت أوامره ونواهيه مقهوراً، فلو رأيت قلبه وهو في يد محبوبه لرأيته:

كَعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُهَا
حِيَاضَ الرَّدَى وَالطِّفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ

ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت:

فَمَا فِي الأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ
وَإِنْ وَجَــدَ الهَــوَى حُلْــوَ المــذَاقِ

تَـــرَاهُ بَاكِياً فِـي كُـــلِّ حِيْـنٍ
مَخَافَــةَ فُرْقَــةٍ أَوْ لاِشْتِيَــاقِ
فَيَبْكِـي إِنْ نَأَوْا شَوْقاً إِلَيْهِـمْ
وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا حَذَرَ الفِرَاقِ

ولو شاهدت نومه وراحته لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا وتحالفا أن ليس يلتقيان، ولو شاهدت فيض مدامعه ولهيب النار في أحشائه لقلت:

سُبْحَانَ رَبِّ العَرْشِ مُتْقِنِ صُنْعِهِ
وَمُؤَلِّفِ الأَضْدَادِ دُونَ تَعَانُدِ
قَطْرٌ تَوَلَّدَ عَنْ لَهِيــبٍ فِي الحَشَــا
مَــاءٌ وَنَارٌ فِي مَحِــلٍّ وَاحِــدِ

ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغله فيه لعلمت أن الحب ألطف مسلكاً فيه من الأرواح في أبدانها.

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب، ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه ولابد له منه أعظم الحجاب، فالمحب بمن أحبه قتيل، وهو له

عبد خاضع ذليل، إن دعاه لَبَّاه، وإن قيل له ما تتمنى فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه، فحقيق به أن لا يملك رقه لأجل حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب)[١].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يملأ قلوبنا بنوره، وأن يُفيض علينا من رحمته، وأن ينـزل علينا السكينة، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يصلح قلوبنا ونياتنا وذرياتنا، إنه سميع مجيب قريب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٢).

اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- عرف العشق في اللغة والاصطلاح.

٢- ما هي أنواع العشق؟.

٣- للعشق مظاهر عدة، فما هي أبرزها؟.

٤- ما هي مفاسد وأضرار العشق؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- بماذا يرتبط العشق غالباً؟.

٢- ما السبب الرئيسي المؤدي لعشق النساء للنساء؟.

٣- لابن القيم رأي سديد في مسألة العشق، فما هو؟.

٤- ذكر ابن تيمية في كتابه (الاستقامة) أموراً يورثها العشق للعاشق، فما هي؟.

٥- ماذا يفعل النصارى إذا أرادوا تنصير الأسرى؟.

المُحتَويات